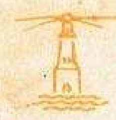
حكايات صينية

٥

البطيخ اللؤلؤى



دار المعارف بمصر

حكايات صينية

مجموعة من الحكايات الشائقة اللطيفة التى تصور للناشئة العربية بلاد الصين وأخلاق أهليها وجوانب من معايشهم ومجتمعاتهم ونوادرهم ولطائفهم .

● صدر منها :

٦ قروش ج.ع.م	٦٠ فلساً فى العراق والأردن	٨٤ فرنكاً فى المغرب
٤٨ ق . ل	٦٠ فلساً فى الكويت	٠,٧٢ ريالا سعودياً
٦٠ ق . س	٧٢ مليماً فى تونس	١,٢ شلناً } فى البلاد
٦٠ مليماً فى ليبيا والسودان	٨٤ فرنكاً فى الجزائر	٠,١٧ دولاراً } الأخرى

حكايات صينية

٥

البطيخ اللؤلئى

للأساتذة

محمد أحمد برانق حامد محمد سليمان

تان سومين

湯書民

الطبعة الثانية



دار المعارف بمصر

١٩٦٤

اَلْبِطِّيخُ اللُّؤْلُئِيُّ

١

كانَتْ مِيْجُونْيَا فتاةً صَغيرَةً رائِعةَ الجَمالِ ، حادَّةَ الذَّكاءِ ، طَيِّبَةَ القَلْبِ ، رحيمَةً بِكلِّ النَّاسِ ، وكانت محبوبةً مِن جيرانِها جَميعاً .

وكانَتْ ميْجُونْيَا تُجيدُ التَّطريزَ الَّذِى تعلَّمَتهُ مِن أُمِّها ؛ وَذاتَ يَوْمٍ كانَتْ تَجلِسُ إلى جِوَارِ النَّافذةِ وفى يَدِها قِطعةٌ مِن الْقُماشِ تُطَرِّزُهَا ، وفجأَةً رأَتْ قِطةً سَوْداءَ تَقفِزُ إلى النَّافذةِ ، وفى فَمِها طائرٌ صَغيرٌ أَبْيضُ كالثلجِ ، وهُوَ يُشَقشِقُ ويُرفرفُ بجَناحَيْه الصَّغيرَيْن مُحاوِلًا التَّخَلُّصَ من أنيابِ الْقِطَّةِ .

ملتزم الطبع والنشر : دار المعارف بمصر – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة

تَركَتْ ميجونْيا قِطعةَ القُماشِ الَّتى تُطرِّزُها ، وَأسرعَت إلى الطَّائر فخلَّصَتْهُ مِن فَمِ القِطةِ ، فوَجَدَتْ ساقَهُ اليُسرى مجروحَةً .

رَقدَ الطائرُ على كَفِّ مِيجونْيا ، وكانَت حالُهُ تَبْعَثُ عَلَى الشَّفقَةِ ، وأَحَسَّتِ الفَتاةُ بِالْحُزنِ لحالِ الطائرِ الجريحِ ، فَضَمَّدَتْ جِراحَهُ ، وَأَطْعمَتهُ بعضَ حَبَّاتِ الرُّزِّ ، ومُنذُ ذَلكَ الوقتِ بذَلَتْ كلَّ جُهدِها لِلعنايةِ بذلكَ الطائرِ الصَّغيرِ .

* * *

مَضتْ على الطائرِ عِدَّةُ أيَّامٍ شُفِيَت فيها جِراحُه ، فطَارَ ودارَ ثلاثَ دَوْراتٍ حَوْلَ رأْسِ مِيجونْيا وغَرَّدَ ثلاثَ مرَّاتٍ ، وكأَنَّهُ يقولُ : « شُكرًا ! شُكرًا ! وَداعاً ! » ثمَّ خرجَ من النَّافذةِ .

وَأَحَسَّت مِيجونْيا بكثيرٍ من السُّرورِ لشفاءِ الطائرِ الصغيرِ الأَبْيضِ ، فأَخذَت تُلوِّحُ له بمِنديلِها مُوَدِّعةً .

وفى الصباحِ التالى كانت مِيجونْيا جالسةً إلى جِوارِ النَّافذةِ تُطَرِّزُ كعادَتِها ، فرأَت الطائرَ الصَّغيرَ يُقْبِلُ مرةً أُخرَى :

ـ عجباً ! إن الطائرَ يَحْمِلُ فى فمِه شَيئاً !

ومَدَّتْ ذِراعَيْها تُرحِّبُ بهِ ، ولكنَّهُ طارَ إلى حَوْضِ الزَّهْرِ ، وأخذَ يَنبِشُ الأَرضَ برجْلَيهِ الصغيرتيْن ، ثمَّ فَتَحَ فَمَه وَأَسْقطَ شَيئاً صَغيرًا أَبيَضَ فى الحُفرةِ التى صَنعَها.

ـ هَذا الشَّىْءُ الصَّغيرُ يَبْدُو كأَنَّهُ لؤْلؤَةٌ ، أَوْ حَجرٌ مِن الأَحْجارِ الكريمةِ ، إنهُ جمِيلٌ حقًّا !

ولكنَّ الطائرَ غَطَّاه برجْليْه بَعدَ أَن وَضعهُ فى الحُفرةِ الصَّغيرةِ ، ثم أَخذ يُصفِّقُ بجَناحيْه طَرباً ، ثم طارَ ..

سُرَّتْ مِيجُونْيَا سرورًا عَظيماً ، وشَعَرَتْ بكثير من الدَّهْشةِ ، وذهَبَت إلى حَوْضِ الزَّهْرِ ، وفَكَّرت أن تَنبشَ الأَرْضَ لترَى ما دفَنهُ الطائرُ ، ولكنَّها تراجَعَتْ وقالت :

هَذا شَيْءٌ خَبَّأه الطائرُ ، ولا بُدَّ أن له هَدَفاً مِن وراءِ ذلكَ ، فكَيفَ آخُذه سِرًّا ؟ ! لَا . . . هَذا لَنْ يَكُونَ . . .

وَعادتْ مِيجُونْيَا إلى نَافِذَتِها مرةً أُخرى لتُواصِلَ التَّطريز .

٢

مَضتْ على هَذا الْحَادِثِ مُدَّةٌ ، وذاتَ يَوْمٍ رأَتْ مِيجونْيَا نَبْتاً صغيرًا فى الْحَوْض . . .

– آه ! . . . هَذا هو النَّبْتُ الذى دَفنَ الطَّائِرُ الصَّغيرُ بَذْرَتَهُ ! إذًا علَيَّ أن أَرْعاهُ حَتَّى يَكبَرَ !

وَمُنْذُ ذلكَ اليوْمِ أخذَتِ الْفتاةُ فى الْعِنايَةِ بِالنَّبْتِ الصَّغيرِ ، وَرَيِّه كلَّ يَوْمٍ ، وبعدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ كَبِرَ هَذا النَّبْتُ . . .

– يا لَلْعَجَب ! . . أَكانَت هَذِهِ الحبَّةُ اللَّامِعَةُ المسْتَدِيرةُ بَذْرَةَ بِطِّيخ ؟ ! ما أَعجبَ شَكلَ هَذا الْبَذْرِ ! ! سَأَظلُّ أُرْوِى هَذا النَّبْتَ دائماً ! . .

وَظلَّت مِيجُونْيَا تُرْوِى هَذا النَّبتَ كلَّ يومٍ ، وَبَعْدَ



وبهر بريق اللآلئ أبصار الفتيات جميعاً

أَيَّامٍ كَثِيرةٍ أَزْهرَ ، ثُمَّ أَثْمَرَ بِطِّيخَةً . . .

كَبِرَتِ الْبِطيخَةَ يوماً بَعدَ يومٍ ، وكانَ لها فى كلِّ يومٍ شَكلٌ جَدِيدٌ ، وفى مُدَّةِ قَصِيرةٍ أَصبحتْ كَبيرَةَ الْحَجمِ ، وأَوْشَكَت أَن تَنْضَجَ . . ولكنْ . . . لِماذا لَمْ يأْتِ الطَّائِرُ مَرَّةً أُخرَى ؟! أَتُراهُ قَدْ نَسِىَ ؟! لا . . . لمْ يكُنِ الطَّائِرُ قَدْ نَسِىَ !

وذاتَ يَوْمٍ – وقد اشتَدَّتْ حرارَةُ الصَّيفِ – شاهَدَتْ مِيجُونيَا الطَّائِرَ يَعُودُ مَرَّةً أُخرَى ، وعِندَما وصلَ إلى حَوْضِ الزَّهْر ، أَخَذَ يَدُورُ حوْلَ البِطِّيخَةِ ويُغَرِّدُ ، كَأَنَّهُ يقُولُ : اقطعِيها . . . اقطعِيها . . . الآنَ يُمكنُكِ أَن تَأْخُذِيهَا . . .

عِندئِذٍ أَخذَتِ الْفَتَاةُ الْبِطِّيخَة الكبيرةَ ، ودَعَتْ فَتَيَاتٍ كَثيراتٍ منْ جَاراتِهَا ، لِيأْكُلْنَ مَعهَا هَذِهِ

الْبطِّيخَةَ ، وكانَ الطَّائرُ أيضاً حاضِراً . . .

ولكنَّ الأمْرَ الْعجيبَ أَنَّ البطِّيخَةَ عندَ ما شُقَّتْ لم يكُنْ فِيهَا لحمٌ أَحمرُ ، ولا بَذْرٌ أَسودُ ، ولكنْ كانَ فِيهَا مجموعَةٌ كَبيرَةٌ منَ اللآلِئِ الْمُسْتَدِيرَةِ اللاَّمِعَةِ ، بَهَرَ بَرِيقُها أَبْصَارَ الْفتيَاتِ جَميعاً .

عَقدَتِ الدَّهْشَةُ أَلْسِنَةَ الْفتيَاتِ فلمْ يَسْتطِعْنَ كلاماً أَوْ حَرَكةً ، ولكنَّ الطَّائرَ أَخَذَ يُصَفِّقُ بِجناحيْهِ ويُغَرِّدُ ، وكأَنَّهُ قدْ أَتمَّ عَملاً عَظِيماً .

حَوَّمَ الطَّائرُ قَلِيلاً ، ثمَّ اقتَرَبَ منْ مِيجُونْيَا ، وغرَّدَ عِدَّةَ مرَّاتٍ كأَنَّهُ يقولُ : وَدَاعاً ! وَدَاعاً ! ثمَّ غادَرَ الدَّارَ .

عِندَ ذلكَ فَهِمَتْ مِيجُونْيَا كلَّ شيءٍ ، ولكنْ لم تَفهَمْ واحِدَةٌ منْ صدِيقَاتِها شَيئاً مِمَّا حَدَثَ ، فَقَصَّتْ

مِيجُونْيَا عليْهنَّ كَيفَ أَنْقَذَتِ الطَّائرَ الصَّغِيرَ ، وكَيفَ أَحضرَ البَذْرَةَ إِلَى حَوْضِ أَزْهارِهَا ، وأَقبلَتِ الصَّديقَاتُ عَلَى مِيجُونْيَا يُهَنِّئْنَهَا ، ويَشارِكْنَها مَسرَّاتِها .

٣

كانَ بينَ هؤلاءِ الفتياتِ فتاةٌ دميمةٌ ، اسمُها تشاوْجُونْيا ، سَمِعتْ قِصَّةَ مِيْجونْيا ، وأُعجِبتْ بها ، ولكنَّها أَحسَّتْ بالْحَسدِ نحْوَ صديقتها لحُصولها على هذا القَدْرِ الكبيرِ من اللآلئ ، ورَغَبتْ رغْبةً شَديدَةً فى أنْ تكُونَ لها بِطِّيخةٌ مثلُ بِطِّيخةِ مِيجونْيا .

كانتْ تشاوْجُونْيا مَشْهورةً بالْكَسَل ، ولم تكُنْ تُحِبُّ العَملَ قطُّ ، ولم تكُنْ تُجيدُ التَّطْرِيزَ ، ولكنْ لِكىْ تنتْظِرَ طائرًا جَريحًا كانتْ تجْلسُ إلى نَافذتها ، كلَّ يومٍ ، مُتظاهِرةً بالتَّطْرِيزِ ، وبَيْنَ يدَيْها أَ وَاتهُ ، وكأنَّها تُطرِّزُ طولَ الوَقْتِ .

ومَضَى على ذلكَ شهرٌ كاملٌ ، وكانت هُناك طُيورٌ

كثيرةٌ تَطيرُ أَمامَها ، ولكنْ لم يَكُنْ من بينها طائرٌ واحدٌ جَريحٌ . . .

* * *

وتَساءَلَتْ تشاوْ : كَم مِن الوقتِ يجبُ أَن أَنتظرَ على مِثْلِ هَذه الحالِ ؟ !

وهكذا قَرَّرتْ أَلَّا تَنتظِرَ بعد ذلكَ .

وفى يَوْمٍ مِنَ الأَيامِ رأَتْ طائرًا أَبْيضَ كالثَّلْجِ يَقْتَرِبُ مِن نَافِذَتِها ، فَأَغْرَتْه بالاقتِرابِ مِنها ، ثم أَمْسكَتْهُ . . . وكَسرَتْ تِشَاوْ رِجْلَ الطَّائرِ بقَدُومٍ صَغيرٍ ، وصَرَخَ الطَّائرُ أَلَمًا ، وَحاوَلَ أَن يتخَلَّصَ مِن يَدِها ، فلم يَسْتَطِعْ ؛ ثمَّ أَحْضَرَتْ تِشَاوْ ضِمَادًا ، وَضَمَّدَتْ رِجْلَ الطَّائرِ كما فعَلَتْ مِيْجونْيا مِن قبْلُ ،

وقدَّمَتْ له أُرْزًا ، وعُنيَت بهِ عِنايةً كَبيرةً .

ولم تَمْضِ عِدَّةُ أيامٍ حتى سَئِمَتْ تِشاوْ العِنايةَ بالطَّائر ، ولم يَكُنْ جُرْحُ الطَّائرِ قدْ تمَّ شِفاؤُهُ بَعدُ حينَ ألْقَتْ بهِ منَ النَّافذةِ ، وَخاطَبَتْهُ قائلةً : لاتَنْسَ أنْ تُحضِرَ لى بَعضَ البُذورِ .

٤

ذَهبَ الطَّائرُ الصَّغيرُ ، وجَلَسَتْ «تِشاوْ» مِن جَديد إلى جوارِ النافِذَةِ لِتنْتَظِرَ . . .

وبَعدَ مُدةٍ عادَ الطَّائرُ مَرَّةً أُخرى ، وفى فَمِه بَذْرةٌ زَرَعَها فى حَوْضِ الزَّهرِ ، ولم تَلْبَث البَذرةُ أنْ أَنْبَتَتْ نَبْتًا رَقيقًا ، ولكنَّ تشاوْ كانتْ كَسُولًا ، وبلَغَ بها الكَسلُ أنها لم تُفكِّرْ أنْ تُرْوِيَ هذا النَّبْتَ ، بل كانتْ تكْتَفِى بالنظر إليهِ عدة مَرَّاتٍ كلَّ يَوْمٍ ، منتظِرَةً أن يكبَر ، ثم يزهِر ويثمِر .

ومعَ ذَلِكَ فقدْ ظهرَتِ البطيخةُ بَعْدَ مُدَّة ، ولكنها لم تكنْ مِثْلَ بطِّيخةِ مِيجونْيا حَجْمًا أَوِ اسْتدارةً أو جَمَالا .

– لا بأْس ! فلْتكنْ صَغيرَةً وَقبيحةً ما دام فى جوْفِها اللؤْلؤ . . . عِنْدَ ما يوجدُ اللؤْلؤُ يكونُ الإنسانُ غَنِيًّا ، ولنْ يَسْتَطِيعَ الإنْسانُ أن يُنْفِقَهُ كلَّهُ فى حياتِهِ . . .

وهكَذا اقْترَضتْ تِشاو مِنْ جيرَانِها كَثِيرًا من النقودِ ، وعاشتْ حَياةً مُتْرَفَة ، وَعِنْدَما كانَ أحَدٌ يُذَكِّرُها بِرَدِّ النُّقودِ كانَتْ تَقُولُ : لِمَ هٰذِهِ الْعَجلَةُ ؟! غَدًا تَحْصُلونَ عَلى نُقُودِكُمْ !

وذاتَ مساءٍ قطعتْ تشاوْ البطيخَةَ ، وَأَغْلَقَتْ بابَ البيتِ ، وشطرتِ البطيخَةَ نِصْفَينِ ، ولٰكِنْ : يا للعجبِ ! . . . إنَّ البطيخةَ لَمْ يكُنْ فِيها لؤْلؤةٌ واحدةٌ بل اندفَعَ مِنْها تيارٌ هوائىٌّ شَديدُ البرُودَةِ ، وتحَوَّلَ هذا الهواءُ ، وصارَ رجلًا هَرِمًا ذا لِحْية طويلة بيضاء . . .

فَزِعتْ تِشَاوْ جُونْيَا فَزَعًا شَديدًا ، ولكنَّ الرَّجُلَ أَشَارَ إِليْهَا وَابْتَسَم قائلًا :

– تذَكَّرى أَنَّ الأَشْياءَ الحسَنةَ لا يُمكِنُ أن تَقعَ فى أَيدِى الأَشْرارِ !

ومَا إن انْتهى من كلامِهِ حتى انقَسمتْ لِحْيته قِسْمَين ، وَصارَ كلٌّ مِنهما كَجَناحِ الطائرِ ، وَاهْتَزَّ جَسدُه كلُّه ، فإذا هُوَ يَنقَلِبُ طائِرًا صَغيرًا أَبْيَضَ . . .

وَصاحَ الطائرُ الصَّغِيرُ الأَبَيضُ بِصَوْتٍ مُرْتفعٍ ، وطارَ منَ النَّافِذَةِ !

فَمُ السُّلَحْفَاةِ

١

كانَ فِى إحْدَى القُرَى الصَّغيرَةِ عَيْنُ ماءٍ تَتَفَجَّرُ مِنْ فَم سُلَحْفَاة صَخْرِيَّةٍ ضَخْمَة ، وَلَقَدْ مَرَّ زَمَانٌ على هٰذِهِ السُّلَحْفَاةِ لَمْ يَكُنِ الْمَاءُ يَنْبُعُ مِنْهَا ، ثم عَادَتْ بَعْدَ ذٰلِكَ تُخْرِجُ الْمَاءَ مِنْ جَدِيدٍ .

وَإليكَ القصةَ كما حدثَتْ :

كانَ هٰذا الْمَكانُ أَرْضًا بورًا ، لا تنبُتُ فِيهِ غَيْرُ الْحَشائِشِ وَالأَعْشابِ الْبَرِّيَّةِ ، وذاتَ يَوْمٍ كانَ «مَوْتُونُ» الرَّاعِى الصَّغيرُ يَسُوقُ قَطِيعًا مِنَ الْبَقَر فى هٰذا الْمكانِ لِلرَّعْىِ . اِسْتَلْقَى الرَّاعِى عِنْدَ سَفحِ

التَّلِّ على صَخْرَةٍ كَبِيرَةٍ على شَكْلِ سُلَحْفَاةٍ ، ولَمْ تَمْضِ لَحَظَاتٌ حَتَّى اسْتَغْرَقَ فى نَوْمٍ عَمِيقٍ ، ولٰكِنَّهُ لَمْ يَهْنَأْ بِنَوْمِهِ هٰذا إذْ لَدَغَتْهُ بَعُوضَةٌ ، فَاسْتَيْقَظَ ، وَنَظَرَ حَوْلَه ، فَرَأَى ثَلَاثَ بَقَرَاتٍ تَتَنَاطَحُ وَتَصْطَرِعُ على قِطْعَةٍ غَنِيَّةٍ بِالْحَشَائِشِ ، وَأَخَذَ يَرْقُبُهَا ، فَرَأَى الْحَشَائِشَ تَنْمُو مِنْ جَدِيدٍ كلَّمَا أَكَلَتْهَا الأَبْقَارُ ، وكانَتِ الأَبقارُ تَأْكُلُ هٰذِهِ الْحَشَائِشَ فى شَهِيَّةٍ عَظِيمَةٍ .

شَعَرَ مَوْتُونُ بِالدَّهْشَةِ لِهٰذا الأَمْرِ الْغَرِيبِ ، فَأَسْرَعَ نَحْوَ هٰذِهِ الْحَشَائِشِ ، ثُمَّ أَخَذَ بَعْضًا مِنْهَا وَضَعَهُ فى فَمِهِ ، فَوَجَدَ لَهُ طَعْمًا لَذِيذًا وَمَذَاقًا حُلْوًا ، وَرَائِحَةً ذَكِيَّةً ، عِنْدَئِذٍ طَرَدَ الأَبْقَارَ بَعِيدًا ، ثُمَّ اقْتَلَعَ الْحَشَائِشَ مِنْ جُذُورِهَا : يَا لَلْعَجَبِ ! مَاذَا رَأَى ؟! لَقَدْ رَأَى تَحْتَ جُذُورِ هٰذِهِ الْحَشَائِشِ لُؤْلُؤَةً مُسْتَدِيرَةً لامِعَةً !

الْتَقَطَ مَوْتُونُ هٰذِهِ اللُّؤْلُؤَةَ ، وَجَلَسَ على السُّلَحْفَاةِ الصَّخْرِيَّةِ ، وَأَخَذَ يَتَأَمَّلُ اللُّؤْلُؤَةَ مُعْجَبًا ، وَفَجْأَةً تَحَرَّكَتِ السُّلَحْفَاةُ الصَّخْرِيَّةُ ، وَمَدَّتْ رَأْسَهَا وَخَطِفَتِ اللُّؤْلُؤَةَ مِنْ يَدِ مَوْتُونَ وَابْتَلَعَتْهَا ، وَفى الحالِ انْدَفَعَ مِنْ فَمِ السُّلَحْفَاةِ الصَّخْرِيَّةِ مَاءٌ كَثِيرٌ صَافٍ .

سُرَّ الرَّاعِى الصَّغِيرُ ، وَأَخَذَ يَرْقُصُ وَيُغَنِّى وَيَدُورُ حَوْلَ نَفْسِهِ ، وَأَحَسَّ بِالْعَطَشِ ، فَشَرِبَ مِنَ الْمَاءِ الْمُنْدَفِعِ مِنْ فَمِ السُّلَحْفَاةِ :

آه . . . ! مِيَاهٌ صَافِيَةٌ عَذْبَةٌ !

فَكَّرَ الرَّاعِى الصَّغِيرُ .

لَيسَ حَوْلَنا ماءٌ ، ومن الصعبِ الحصُولُ على ماءٍ لِلشُّرْبِ أَوْ لِلرِّىِّ ! سَأُخْبِرُ أُسْرَتِى ، ولننقلْ بُيُوتَنا إلى هذا الْمَكانِ ، وَبَعْدَ زِراعَةِ هَذِهِ الأَرْضِ وَمَدِّها بالْمَاءِ

الْوَفِيرِ سَتُصْبِحُ أَرضًا خِصْبَةً !

ثُمَّ انْدَفَعَ مَوْتُون مَسْرُورًا ، وَسَاقَ أَبْقَارَهُ عَائِدًا إلى بيتِهِ ، وَهُناكَ أَخْبَرَ أَباهُ وَأُمَّهُ بِالنَّبْعِ الجديدِ الَّذِى نَبَعَ من فم السُّلحفاةِ الصَّخرِيَّةِ ، وَكَيفَ أَنَّ هٰذِهِ الأَرْضَ يُمكِنُ زِراعَتُها الآنَ ، وعن رَأْيِهِ فى انْتِقالِ الْأُسْرَةِ إِلَى هٰذا الْمَكانِ ، وَلٰكِنَّهُ لم يُحَدِّثْ أَحَدًا بِشأنِ اللُّؤْلُؤَةِ الَّتى ابْتَلَعَتْهَا السلحفاةُ ، لِأَنَّهُ خافَ أَنْ يَعْمِدَ بَعْضُ الأَشْرارِ إلى سَرِقَةِ اللُّؤْلُؤَةِ فيَفْقِدَ النَّاسُ هٰذا النَّبْعَ الْعَذْبَ .

وَجاءَ بَعْضُ أَفْرادِ الْأُسْرَةِ لِيَرَوْا هٰذا النَّبْعَ الَّذِى حدثَهُمْ عَنْهُ موتُون ، وَوَجَدُوا أَنَّ ماءَهُ يَصْلُحُ لِلرِّىِّ والشُّرْبِ ، فقرروا الانْتِقالَ إلى هٰذا الْمَكانِ ، وَلَم يَمْضِ زَمَنٌ طويلٌ حَتى تبعهُمْ كَثِيرٌ مِنَ النَّاس

الَّذِينَ رَأَوْا أَنَّ الْحياةَ فى هذا المَكانِ خَيْرٌ لهُمْ ، وَلَمْ تَمْضِ سَنَوَاتٌ كَثِيرة حَتَّى أَصْبَحَتْ هٰذِهِ الأَرْضُ البُورُ حُقُولًا خِصْبَةً ، وكلما أَتى الْخَرِيفُ كانَتْ سَنابِلُ الرُّزِّ المُتَماوِجَةُ تشع ضَوْءًا ذَهَبِيًّا وَتَنْبَعِثُ مِنْها رائِحة عَطِرَةٌ مُسْكِرَة .

هكذا مَضَتْ سَنَةٌ وراءَ سَنة ، وكبرَ موتُونُ وتزَوَّجَ ، وَرُزِقَ أَوْلادًا كثِيرِينَ ، وَتَتابَعَتْ سنونٌ كثِيرَة ، وَأَصْبَحَ موتُونُ شَيْخًا ، وابْيَضَّ شَعْرُهُ ، وَصارَ لهُ أَحْفادٌ كثيرُونَ .

وَذاتَ يَوْمٍ أَقبلَ مُبَشِّرٌ أَمريكىٌّ إلى هذا الْمَكانِ. كانَ هذا الرجُلُ ذا أَنفٍ مُقَوَّسٍ كَمِنْقارِ النَّسْرِ ، وَعَيْنَيْنِ كَعَيْنَىِ الْقِرْدِ ، وكانَ يُمْسِكُ عَصًا سَوْداءَ ، وَسارَ يَتَشَمَّمُ وَيَتَأَمَّلُ ، ويُشِيرُ بعَصَاهُ هُنا وهُناكَ .

رأى الشيخُ موتونُ حركاتِ هٰذا الأَمْريكيِّ المُبَشِّر ، فلمْ تُعْجِبْهُ ، وبَصَقَ على الأَرْض تعْبيرًا عَن اشْمِئْزازِهِ .

اقتربَ الْمُبَشِّرُ مِنَ السلحفاةِ ، وَضَربَها بِعَصاهُ على ظَهْرها ، وأَخَذ يَتَحَسَّسُ فاها بيدِهِ ، ودارَ حَوْلَها مُدَّةً طويلةً ، وأَخِيرًا غادَرَ الْمَكانَ .

وَمُنْذ هذه اللحظةِ كفَّ الماءُ عَنِ الانْدِفاعِ مِنْ فمِ السُّلَحْفاةِ ، وَجَفَّتِ الزُّرُوعُ ، وبدَأَتِ الأَرْضُ تَتَشَقَّقُ فى كلِّ مكانٍ ، وَعادَتِ الْحُقُولُ الخَضْراءُ أَرضًا بورًا مَرَّةً أُخْرَى .

ذَهَبَ الناسُ إلى السُّلحفاةِ ، وَرَأَوْا أَنَّ شَفتَها قد شُقَّتْ ، وأَنَّ ماءَها قد توقَّفَ عنِ الجرَيانِ ؛ فأَخذوا يَنْظُرُونَ إليها فِى حُزْنٍ آمِلِينَ أَنْ يَعُودَ الماءُ إلى الانْدِفَاعِ مَرَّةً أُخْرَى .

وقالَ موتونُ لِنَفْسِهِ : مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّ الْمُبَشِّرَ الأَمريكيَّ قدْ سَرَقَ اللُّؤْلُؤَةَ الَّتِى كانَتْ فِى جَوْفِ السُّلَحْفَاةِ !

وحَمَلَ موتُونُ عَصاهُ ، وخَرَجَ – وَالْهَواءُ يَعْبَثُ بِشَعْرِهِ الأَبْيَضِ – لِيَبْحثَ عَنِ المُبَشِّرِ الأَمْرِيكيِّ .

لقد كانَ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَرِدَّ اللُّؤْلُؤَةَ ، وَيُرِيدُ أَنْ تُخرِجَ السُّلَحْفَاةُ الماء كما تَعَوَّدَتْ .

كانَ يُرِيدُ أَنْ تعُودَ الْحَياةُ إلى الْحُقُولِ ، وَتَشْبعَ بِالْمَاءِ كما كانَتْ مِنْ قبلُ ؛ وَكانَ يقولُ لِنفسهِ :

لَوْ رَأَيْتُ هذا الْمُحْتَالَ ، فَسأُحَطِّمُ أَنْفَهُ الْمُقَوَّسَ ، وَأَقْتَلِعُ عَيْنَيْهِ اللَّتَيْنِ تشبهانِ عَيْنَى الْقِرْدِ .

عَبرَ موتونُ جبلًا بعدَ جَبَلٍ ، وتركَ قرْيَةً وَرَاءَ قَرية ، وَمَدِينَةً بعدَ مدينة ولكِنَّهُ لم يَسْتطعْ أَن يَعْثرَ

عَلَى ذى الأَنفِ المُقوَّسِ كمِنْقارِ النَّسْرِ ، وَالْعَيْنَين اللَّتَيْنِ تُشْبِهانِ عَينَى الْقِرْدِ ، والْحَركات الَّتى تُشْبِهُ حَركاتِ اللِّصِّ . . . هذا الْمُبَشِّرِ الأَمْريكىِّ !

كانَ موتون قد أَصْبَحَ شَيخًا كبيرًا ، ولم يَسْتطعْ أَن يَحْتمِلَ الرِّيحَ وَالْبَرْدَ وَالْمَطَرَ والثَّلْجَ ، فعادَ إِلى بيْتِه وقد أَصابهُ مرضٌ خطِيرٌ ، وَنامَ فى فراشِه ، ودَعا حَفِيدهُ الصَّغيرَ ، وأَخَذَ يخاطِبهُ فى صوْتٍ ضَعِيف .

يا حَفِيدى الصَّغيرَ ، إِننى أَكْرَهُ الْمُبَشِّر الأَمْرِيكىَّ كما أَكْرهُ الموْتَ ! لقدْ سَرَقَ اللُّؤْلؤَةَ الْمُخَبَّأَة فى جَوْفِ السُّلَحْفاةِ الصَّخرية ، وَهَكَذا أَصْبحَ فَمُ السُّلحفاة لا يَسْتطِيعُ أَن يُخرِجَ الماءَ بعدَ ذلِكَ ، وَأَصْبحت الْحُقولُ النَّاضِرةُ أَرْضًا جافَّةً ، والنَّاسُ الآنَ يُعانُون أَيامًا قاسِيَة . . .

يا صَغيرِى الْعَزِيزَ ! اذْهبْ وَابْحَثْ عن اللؤْلؤَةِ . . . تذَكَّرْ أَنَّ هذا المُبَشِّرَ الأَمريكىَّ له أَنْفٌ كَمِنْقارِ النَّسْر وعَيْناهُ كَعيْنَى الْقِرْدِ

وتذكَّرْ — يا صَغِيرى العزِيز — أَن مَسْلَكهُ مَسْلَكُ لِصٍّ

ولم يَسْتَطِعْ موتون الشَّيخُ أَن يُتِمَّ كلامَهُ فقدْ شهَقَ شَهقَةً خَرجَتْ فيها رُوحُه . . .

٢

أطاعَ الحفيدُ الصَّغير كلماتِ جَدِّه ، ولَبِسَ قُبَّعةً منَ القَشِّ ، وَخَرَجَ حافِىَ الْقَدَمَيْنِ يَبْحث فى كلِّ مكانٍ عنِ الْمُبَشِّرِ الأمريكىِّ .

وذاتَ يومٍ رأى الحفيدُ الصَّغير عِندَ سَفحِ الجبلِ رَجُلًا لهُ أنفٌ مُقوَّسٌ وَعَيْنانِ كَعَيْنَى الْقِرْدِ ، وَحَركاتُ لِصّ ، وَقد أَمْسكَ بِيَدِه عَصًا سَوْداءَ يختبِرُ بها الأَرْضَ هُنا وَهُناكَ .

فكَّرَ الْفتَى فى نفْسِهِ : هذا هوَ الْمُبَشِّرُ الأَمريكىُّ الذى حَدَّثنى جَدِّى عَنْه ، والذى سَرقَ اللُّؤْلُؤَةَ منْ فَمِ السُّلَحْفاةِ ، وجَعَلنا نُعانى هذهِ الأَيامَ القاسِيَةَ .

ها هُوَ ذا يَعُودُ مرَّةً أُخرى وَيَبْحَثُ عنْ كُنوزٍ فى هذهِ الجِبالِ .

وبَلَغَ الْغَضَبُ بالفتَى مَبْلغًا عَظِيمًا ، وَصَرَّتْ أَسْنانُه ، وَتَطايرَ الشَّررُ منْ عَيْنَيه ، وأَرادَ أَن يَضْرِبَ هذا الرَّجُلَ وَيقْتُله ، وَلكنَّه فكَّرَ :

هذا الرَّجُلُ طوِيلٌ وَقَوِىٌّ ، وَلا يَسْتطِيعُ فتًى مِثْلى أن يتغلَّبَ عليه !

طَأْطَأَ الْفَتَى رَأْسَهُ يُفكِّرُ فى خُطَّة ، ثمَّ اقْتَرَبَ منَ الْمُبَشِّرِ الأمريكىِّ بَاسِمَ الْوجْه وقالَ :

إننِى أَجِىءُ كثِيرًا إلى هذا المكانِ لِأَرْعَى غَنَمى وَبَقَرِى ، وَقَدْ رأيتُ ضَوْءًا ذَهبِيًّا يَشِعُّ منْ صَخرَةٍ عَلَى الجانبِ الْمُقابلِ ، وأَعْتقِدُ أَنَّ هُناكَ كنْزًا !

أَرجَحَ الْمُبَشِّرُ عَصاهُ ، وَقالَ مِنْ بينِ أَسْنانِه :

خُذْنِى لِأَرَى ! خُذْنِى لِأَرى . . !

قالَ الْفتَى :

اتْبَعْنى !

سَارَ الْفَتى وَالْمُبَشِّرُ الأَمريكىُّ على حافَّةِ هُوَّةٍ عَميقةٍ ، حَتى بلَغا صَخْرةً عاليةً ، وأشارَ الْفَتى إلى الجانبِ المقابلِ من الجبل وَقَالَ فى لَهْجَةٍ مُثيرة :

أُنظر ... هذه الصَّخرةُ تَشِعُّ ضَوءًا ... إنها تَشِعُّ ضوءًا ذَهَبِيًّا ! يا لجمالِها !

حملَقَ الْمُبَشِّرُ ولكنَّه لم يستطعْ أَنْ يرَى شَيئًا ، فقالَ له الفَتى :

إِذَا وقفتَ عَلَى حافَّةِ الصخرَةِ ، تستطيعُ أَن ترى جَيِّدًا .

وَقَفَ المُبَشِّرُ عَلَى حافةِ الصخرةِ ، وفَجْأَةً دَفعَهُ الفَتى منَ الخلفِ بقُوَّةٍ فسقطَ فى قاعِ الْهُوَّةِ ، وَسَالَتْ دِمَاؤُهُ ، وَتَحَطَّمَ رَأْسُهُ ، وَمَاتَ . . .



وفجأة دفع الفتى الرجل بقوة

اسْتدارَ الفَتَى ونَزَلَ بِحَذَرٍ حتى بَلَغَ قاعَ الهُوَّةِ ، وهُناكَ أَخذَ يبحثُ فى ثِيابِ المُبَشِّرِ الأَمريكِيِّ حتى وَجَدَ اللُّؤْلُؤَةَ مُخَبَّأَةً فى جَيْبِهِ ، فأَخَذَها وعادَ سَعيدًا إلى السُّلَحْفاةِ الصَّخرِيَّة .

مَدَّتِ السلَحْفاةُ رَأْسَها ، وَابْتَلَعَتِ اللؤْلؤَةَ ، وعادَ الماءُ الصَّافى يَندَفِعُ منْ فَمِها مرَّة أُخرَى .

وَمُنذُ ذلِكَ الوقتِ عادَتِ الحياةُ إلى الْحُقول ، وَكلَّما أَتى الْخَرِيفُ كانَتْ سَنابلُ الرُّزِّ المتماوِجَةُ تَشِعُّ ضَوْءًا ذَهبيًّا ، وتنبَعِث مِنها رائِحةٌ عَطِرَةٌ مُسْكِرَةٌ .

تم طبع هذا الكتاب بالقاهرة
على مطابع دار المعارف بمصر
سنة ١٩٦٤

حكايات صينية

٥

البطيخ اللؤلؤي



دار المعارف بمصر